

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الحج

الحمد لله رب العالمين، نحمده حمد الشاكرين، ونصلي ونسلم على حبيبه محمد ﷺ، سيد الأولين والآخرين، فهذه سورة الحج، وهي سورة آياتها مختلطة بين ما نزل بمكة، وما نزل بالمدينة، تبدأ بقوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ جميعاً ﴿اتَّقُوا﴾ عذاب ﴿رَبَّكُمُ﴾ وذلك بطاعته في فعل ما أمر به، والبعد عما نهى عنه، حيث ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ﴾ الأرض وحركتها الشديدة، عند قيام ﴿السَّاعَةِ﴾ وهي يوم القيامة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ مهول، فظيع.

وفي حديث الصور يقول النبي ﷺ: «نفخ فيه ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين، وإن عند نفخة الفزع: يُسِيرُ الله الجبال، وترجف الراجفة، تتبعها الرادفة، قلوب يومئذ واجفة، أبصارها خاشعة، وتكون الأرض كالسفينة.. تضربها الأمواج، أو كالقنديل المعلق ترججه الريح».

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ واقعة فيه: ﴿تَذْهَلُ﴾ بسببها وتغفل ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ وهي ترضع بالفعل ﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ من غير فطام ﴿وَتَضَعُ﴾ بسببها، وتجهض ﴿كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ﴾ في بطنها ﴿حَمْلَهَا﴾ من غير تمام.

﴿وَتَرَى النَّاسَ﴾ من هولها ﴿سُكَّرَى﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَّرَى﴾ حقيقة ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ﴾ الذي يرونها، والذي أذهب عقولهم ﴿شَدِيدٌ﴾.

وبعد أن أمر ربنا عز وجل بالتقوى، وخوف من أهوال الساعة؛ يبين السبب الرئيسي الذي يصرف الناس عن تقوى الله، فيقول سبحانه:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾﴾

أي: ﴿و﴾ مع هذا الأمر بالتقوى، فإنه ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فريق كفر بالله تعالى، وهم: كل ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي﴾ شرع الله ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فينكر وحدانية الله، أو ينكر البعث، أو ينكر نبوة محمد ﷺ، أو يقول: إن القرآن أساطير الأولين.

﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ﴾ من الإنس أو الجن ﴿مَرِيدٍ﴾ عات، جبار، متمرد، وذلك في ضلالاته، وبدعه، وأهوائه.

هذا الشيطان الذي يتبعه هذا الخاسر:

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾
يعني: ﴿كُتِبَ﴾ على الشيطان ﴿أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ﴾ واتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾ عن الحق ﴿وَيَهْدِيهِ﴾ ويدعوه ﴿إِلَى﴾ ما يلقيه بسببه في ﴿عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وهو عذاب النار الحار، المؤلم غاية الألم.

لَمَّا كان جدال الكفار المعاندين في وحدانية الله وقدرته، وفي البعث بغير علم؛ ذكر الله تعالى دليلين على ذلك:

أحدهما: في نفس الإنسان.

والثاني: في الأرض التي يشاهدها، حيث قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنَبِّينَ لَكُمْ وَنَقَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ

وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي وَيُؤْتِي وَمِنْكُمْ مَّنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ
بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ
وَأُتْبِتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ ﴿٥﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ الذين تجادلون في الله بغير علم ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك
﴿مِنْ﴾ وقوع ﴿الْبَعْثِ﴾، فاسمعوا هذين الدليلين:

الدليل الأول: في أنفسكم وهو موضوع خَلَقْنَا لَكُمْ ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ في سبعة مراحل:

المرحلة الأولى: ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ وهو أبوكم آدم ﷺ، وأنتم باعتبار غذائكم.
المرحلة الثانية: ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ وهي المني، وأنا الذي قلبت هذا التراب إلى
هذا الماء الرقيق.

المرحلة الثالثة: ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم المتجمد الذي يعلق بجدار الرحم.
المرحلة الرابعة: ﴿ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ وهي قطعة لحم صغيرة ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ تامة

الخلق ينفخ الروح فيها ﴿وغيرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ بعدم نفخ الروح فيها.
﴿لِنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ بذلك: كمال قدرتنا على بعثكم وإعادةكم بعد
موتكم.

المرحلة الخامسة: ﴿وَنَقَرُ﴾ نثب ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ مما نفخ فيه الروح
﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو وقت الولادة، ونسقط من الأرحام ما
نشاء، وهي غير المخلقة التي لم تنفخ فيها الروح
﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ﴾ أي: ما نفخ فيه الروح، من بطون أمهاتكم
﴿طِفْلًا﴾ أي: أطفالاً.

المرحلة السادسة: ﴿ثُمَّ﴾ نحييكم ﴿لِتَبْلُغُوا﴾ من السن والعمر ﴿أَشَدَّكُمْ﴾
أي: قوتكم.

المرحلة السابعة: ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يُؤْتِي﴾ قبل بلوغ الأشد، أو بعده بقليل،
﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ﴾ يعيش حتى ﴿يُرَدُّ﴾ ويصل ﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾
وهو الهرم، والضعف الشديد، في القوة، والعقل، والفهم

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ﴾ وينسى ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ أي: كل ما

كان عنده من علم ومعرفة ينساه.

وهذا هو الدليل الأول على قدرة الله على البعث، أليس مَنْ قَدَرَ عَلَى الْبَدْءِ قَدْرَ عَلَى
الإعادة؟ بلى.

والدليل الثاني: في الكون وهو: موضوع الأرض.

﴿وَتَرَى﴾ أيها المجادل المنكر لقدرة الله، ترى ﴿الْأَرْضَ﴾ بعينيك ﴿هَامِدَةً﴾
يابسة لا تتحرك ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ من السحاب بالمطر، أو من الأنهار،
والعيون ﴿أَهْزَتْ﴾ تحركت ﴿وَزَبَتْ﴾ زادت وارتفعت قشرتها الأرضية ﴿وَأَنْبَتَتْ﴾
من ﴿جَوْفِهَا﴾ ﴿كُلِّ زَوْجٍ﴾ صنف من النبات ﴿بَهِيحٍ﴾ حسن جميل، أليس ذلك بدليل
على وحدانية الله، وقدرته على البعث والإعادة..؟

بلى وألف بلى، أي: هو الواحد وهو القادر.

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

يعني: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكرناه من مراحل خلق الإنسان، وإحياء الأرض بعد موتها،
حاصل ﴿بِـ﴾ سبب ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت، الواحد، القادر، ﴿وَأَنَّهُ﴾
وحده ﴿يُخَيِّ الْمَوْتَى﴾ ويبعثهم من قبورهم؛ ليحاسبهم ﴿وَأَنَّهُ﴾ سبحانه ﴿عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وهو سبحانه لا يخلق عبثًا، ولا يترك الخلق دون حساب.

﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾

يعني: لولا ﴿أَنَّ السَّاعَةَ﴾ وهي يوم القيامة ﴿آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ دون شك،
ولولا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ليحاسبهم، ما خلق الله ما خلق.

ولذلك، فالإيمان بيوم القيامة والبعث من أصول الدين، والاستعداد لذلك بوسائل
النجاة، وهي الإيمان والعمل الصالح من دلائل التوفيق، وهذا أمر في غاية الوضوح.

ومع هذا الوضوح، فإن الله عز وجل يخبرنا قائلًا:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ (٨) ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾

أي: ﴿و﴾ مع الأمر بالتقوى، ووضوح الأدلة على قدرة الله وعلى البعث، فإنه يوجد ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فريق آخر كفر بالله تعالى، وهم كل:

١ - ﴿مَنْ يُجَادِلُ فِي﴾ شرع الله، وقدرته على البعث ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ صحيح يستند إليه ﴿وَلَا هُدًى﴾ معه من وحي يرشده ويهديه ﴿وَلَا﴾ دليل معه من ﴿كِتَابٍ﴾ سماوي ﴿مُنِيرٍ﴾ أي: له نور الحق.

٢ - ﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ أي متكبراً عن قبول الحق واتباعه، ويجادل ﴿لِيُضِلَّ﴾ الناس ﴿عَنِ﴾ معرفة ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾ واتباع هديه، هذا الخاسر المجادل ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إهانة ومذلة وحقارة ﴿وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ بالنار.

ونقول له ﴿ذَلِكَ﴾ الخزي في الدنيا، والعذاب في الآخرة ﴿بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾ أي: بسبب كفرك وكبرك وتكذيبك، وإضلالك الناس عن دين الله، وهذا هو العدل معه. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أي: لا يظلم أحداً من خلقه. وهذا فريق ثالث من الناس، يقول المولى جلت حكمته:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١١) يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

يعني: ﴿و﴾ مع الأمر بالتقوى، ووضوح الأدلة على قدرة الله، والبعث وتخويف السعائدين؛ فإنه يوجد ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ فريق ثالث، وهم كل:

١ - ﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ من الدين، غير مستقر فيه ولا مطمئن له، فهو

مذبذب حائر ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ من صحة في جسمه، وسعة في عيشه؛ سكن واطمأن لهذا الدين وعبد الله، ﴿وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ﴾ ابتلاء واختبار، في صحته، أو في ماله، أو في ولده أو غير ذلك ﴿أَنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ سخطاً، وعدم رضى، وتوقف عن عبادة الله، وبذلك يكون قد ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ لعداوة أهل الإيمان وبغضهم له، وعدم ثقة أهل الكفر والمعاصي فيه، ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ كذلك لدخوله النار.

٢- ومن ﴿يَدْعُوا﴾ أي: يعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غير الله، من الأصنام، والدنيا، والهوى، وغير ذلك ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ لو لم يعبده ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ لو عبده. ﴿ذَلِكَ﴾ الذي يفعله ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الحق والصواب؛ حيث إنه ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿لَمَنْ ضَرُّهُ﴾ له ﴿أَقْرَبُ﴾ وأكد ﴿مِنْ نَفْعِهِ﴾ الذي يتخيله، حقاً ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ والناصر، هذا الإله المزعوم ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ صاحب هو، والعابد لهذا الإله.

ولما ذكر الله حال أهل الضلالة الأشقياء، ذكر عقيبهم حال الأبرار، أهل الهدى السعداء جعلنا الله وإياكم منهم، فقال تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤)

يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل، كما يدخل الذين عصوه، والذين كفروا به وعاندوا رسله في النار ﴿يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به، واتبعوا رسله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وهي كل ما يرضي الله تعالى، ويسعد العباد، ويصلح البلاد؛ يدخلهم ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ثواباً لهم وإسعاداً، وهو سبحانه قادر على هذا، وهذا، من تعذيب العصاة، وتنعيم المطيعين، ولا غرابة في هذا، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه.

هذا، ومن جملة ما يريده الله ويفعله: نصره لحبيبه محمد ﷺ، وإعلاء شأن دعوته، ورفع راية رسالته، لذلك:

﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ ﴿١٥﴾

يعني: ﴿مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ﴾ أي: يكره محمداً، ويتخيل، ويتمنى من الذين يجادلون في الله بغير علم؛ اتباعاً للشيطان، أو من الذين يجادلون في الله بغير علم؛ غروراً وتكبّراً وعناداً، أو من الذين يعبدون الله على حرف، من كان يظن من هؤلاء ﴿أَنْ لَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ مُحَمَّدًا﴾ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بإعلاء كلمته، وإظهار دينه، ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بإعلاء درجته، والانتقام ممن كذبه: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ أي: فليأت بأي شيء، من حبل، أو آلة وليصعد به ﴿إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ هذا الوحي، ليذهب بذلك غيظه، وبعد أن يفعل لو استطاع ﴿فَلْيَنْظُرْ﴾ في نفسه، ويتفكر في حاله؛ ليعرف ﴿هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ أي: حيلته هذه ﴿مَا يَغِيظُ﴾ في قلبه، ويجده في نفسه؟ أبداً، إذن دعهم في غيظهم يتحرّقون.

ولذلك، لا يجوز للمسلم أن يشك في نصر الله، بل عليه أن يصبر مهما كانت الظروف، ومهما تأخر النصر.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَنْ يُرِيدُ﴾ ﴿١٦﴾
يعني: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وعلى مثل هذا الوضوح ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿آيَاتٍ﴾ دلائل ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ واضحة في أن الله هو الواحد، وهو القادر، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ وحده سبحانه ﴿يَهْدِي﴾ إلى الإيمان، والطاعة ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ هدايته.

ثم تحدث ربنا عن جميع خلقه باعتبار معتقداتهم، فقال جل شأنه:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ﴿١٧﴾

قال العلماء: بينت هذه الآية أن الأديان ستة، واحد للرحمن وهو الإسلام، وخمسة للشيطان. وتفصيلها كالتالي:

الأول: الإسلام، وأهله هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله وباليوم الآخر.

الثاني: اليهودية، وأهلها هم ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ ولا يؤمنون لمحمد ﷺ.
 الثالث: ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ وهم قوم يشبه دينهم دين النصارى، إلا أن قبلتهم نحو مهب
 الريح من الجنوب، يزعمون أنهم على دين نوح عليه السلام، وهم كاذبون.
 الرابع: النصرانية ﴿وَالنَّصَارَى﴾ وهم الذين يؤمنون بعبسى عليه السلام، ولا يؤمنون
 بمحمد ﷺ.

الخامس: ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ وهم قوم يعبدون النار، وقيل الشمس، وقيل غير ذلك، وهم
 يستعملون النجاسات.

السادس: ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مع الله غيره، من صنم، أو عجل، أو خلافة.
 هؤلاء جميعاً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ حيث يدخل المؤمنين
 الجنة، والكافرين النار، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من أفعال
 هؤلاء ومعتقداتهم ﴿شَهِيدٌ﴾ عالم به، ومحيط بهم، وسيجازيهم جميعاً يوم القيامة.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ
 الْعَذَابُ وَمَنْ يُنِ اللَّهَ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (١٨)
 يعني: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تعلم أيها الإنسان ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿يَسْجُدُ لَهُ﴾
 خضوعاً، وإذعاناً، وطاعة هذه الأشياء:

الأول: ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من الملائكة.
 الثاني: ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ كل من في الأرض ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلُمًا﴾ [الرعد: ١٥].
 الثالث: ﴿وَالشَّمْسُ﴾.
 الرابع: ﴿وَالْقَمَرُ﴾.
 الخامس: ﴿وَالنُّجُومُ﴾ بأجرامها، وكواكبها، ومعجراتها.
 وهذه الثلاثة: معطوفة على ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ من عطف الجزء على الكل.
 السادس: ﴿وَالْجِبَالُ﴾ بأحجامها وتنوعها، وألوانها.
 السابع: ﴿وَالشَّجَرُ﴾ بفصائلها، وثمارها.

الثامن: ﴿وَالدَّوَابُّ﴾ على كثرتها.

التاسع: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ يسجدون كذلك، باختيارهم الطاعة.

وهذه الأربعة: معطوفة على ﴿مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من عطف الجزء أيضًا على الكل ولكن هناك ﴿كَثِيرٌ﴾ من الناس ﴿حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ لتكبرهم، وامتناعهم عن الخضوع لله، وهم الكافرون وهذا العذاب لهم: إهانة من الله ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ﴾ ويشقه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ﴾ يسعده، وينقذه من الضلال والعذاب غير الله، الذي يفعل ما يريد حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ عز وجل ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه.

هذا، ولمّا بين ربنا عز وجل أن الأديان ستة: فريق منهم مؤمنون، والباقون منهم كفرون؛ وأن الله تقدست أسماؤه يفصل بينهم يوم القيامة. وقد ذكر تعالى بعض أحوالهم في يوم القيامة هذا، فقال:

﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن تَارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَهُمْ مَّقْتَرِعُونَ مِّن حديد ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾﴾

يقول تعالى عن أهل هذه الأديان: ﴿هَذَانِ﴾ فريقان ﴿خَصْمَانِ﴾ مختلفان مختصمان ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ فريق منهم مؤمن بربه، مصدق لرسله، متبع لشرعه وهم المؤمنون، وفريق منهم، وهم الخمسة الباقون، وهم الذين كفروا، فلم يؤمنوا، ولم يصدقوا، ولم يتبعوا هؤلاء في يوم القيامة، تختلف أحوالهم ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أحوالهم وجزائهم ما يلي:

أولاً: ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن تَارٍ﴾ يلبسونها.

ثانياً: ﴿يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ الماء ﴿الْحَمِيمُ﴾ البالغ نهاية الحرارة، الذي حينما يصب عليهم ﴿يُصْهَرُ﴾ يذاب ﴿بِهِ﴾ من شدة حرارته ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ﴾ من الأمعاء وغيرها، كذلك ﴿وَالْجُلُودُ﴾.

ثالثًا: ﴿وَلَهُمْ مَقَمِعٌ﴾ سباط ومطارق ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ يُضْرِبُونَ بِهَا، وَهُمْ ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: من النار ﴿مِنْ غَمٍّ﴾ يُلْحَقُهُمْ فِيهَا خُرُجُوا، وَلَكِنْ قَبْلَ أَنْ يَنْفَصِلُوا عَنْهَا، ضَرَبُوا بِالْمَقَامِعِ وَ ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ وَقِيلَ لَهُمْ ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ إِيْلَامًا وَإِهَانَةً وَامْتِهَانًا.

هذا جزاء الخصم الكافر، فما جزاء الخصم المؤمن؟ يقول الله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ﴿٢٣﴾ وَهُدًوَا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًوَا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

أخبرت هذه الآيات أن من أحوالهم وجزائهم ما يلي:

أولًا: طيب المسكن ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

ثانيًا: طيب الحلية ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾.

ثالثًا: طيب الملابس ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

رابعًا: طيب القول ﴿وَهُدًوَا﴾ فِيهَا إِلَى ﴿الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ حَيْثُ ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْيِيمًا﴾ ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

خامسًا: طيب الطريق والنهاية ﴿وَهُدًوَا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ﴾ وَهُوَ دِينُهُ سُبْحَانَهُ، الْمُؤَدِّي إِلَى الْجَنَّةِ الَّتِي دَخَلُوهَا.

بعد أن بين العزيز الحكيم جزاء كل فريق من المختصمين في الآخرة، بدأ بذكر بعض أفعال بعض الكافرين، فقال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَنَافِ فِيهِ وَالْبَاءِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَكَامِ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ ﴿٢٥﴾

أي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللَّهِ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ ﴿يَصُدُّونَ﴾ النَّاسَ ﴿عَنْ الدُّخُولِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: فِي دِينِهِ ابْتِدَاءً، وَيَصُدُّونَ كَذَلِكَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْ دُخُولِ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لِعِبَادَةِ اللَّهِ فِيهِ، هَذَا الْمَسْجِدُ ﴿الَّذِي جَعَلْنَاهُ﴾ مُتَعَبَّدًا

﴿لِّلنَّاسِ﴾ كلهم ﴿سَوَاءٌ﴾ متساوون لا فرق بين ﴿الْعَٰكِفِ﴾ المقيم ﴿فِيهِ﴾ وبين ﴿الْبَادِ﴾ البعيد عنه، هؤلاء الذين كفروا نذيقهم من عذاب أليم.

كذلك ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ﴾ أي: في المسجد الحرام ﴿بِإِلْحَادٍ﴾ أي: إلحادًا، وعدولًا عن الصواب بأية معصية ﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

ولمّا عظم ربنا المسجد الحرام، وخوف من المعصية فيه ذكر لنا عز وجل شيئًا من تاريخه، فقال تعالى:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾

يعني: ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ﴾ وقت أن ﴿بَوَّأْنَا﴾ بيّنا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ عليه السلام ﴿مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾ الحرام، وأريناه أصله وأساسه، بعد أن كان غُطِّي، وانطمرت معالمه بسبب الطوفان، وأمرناه بما يلي:

الأمر الأول: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾.

الأمر الثاني: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ﴾ من الأصنام والأقدار ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَالْقَائِمِينَ﴾ فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ به.

الأمر الثالث: ﴿وَأَذِّنْ﴾ أي: ناد ﴿فِي النَّاسِ﴾ كلهم ﴿بِالْحَجِّ﴾ إليه ﴿يَأْتُوكَ﴾ أي: يأتون إليه بسبب ندائك ﴿رِجَالًا﴾ أي: مشاة على أرجلهم وركبانًا ﴿عَلَىٰ كُلِّ﴾ جمل ﴿ضَامِرٍ﴾ أي: مهزول، يعني: بكل وسيلة، ولو كانت غير مريحة ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: هذه الجمال الهزيلة، أو الوسائل غير المريحة ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ من كل طريق ومكان وبلد بعيد.

وأذن إبراهيم ونادى وأسمع الله من كتب له الحج فلبى.

ولكن لماذا يأتون؟

﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾

نعم، يأتون ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ ليحضروا ﴿مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ دنيوية كالتجارة وغيرها، بشرط أن لا يكون المجيء بسببها هي، والحج تبع لها، بل يكون الحج أصل وهي تبع له.

ودينية بأن: ﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ بالتهليل والتسييح والتكبير ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ﴾ وهي أيام الحج كلها، ابتداءً من لحظة الإحرام إلى الانتهاء من أيام التشريق، وكذلك يذكروا اسم الله ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ وهي: الإبل، والبقر، والضأن، والغنم، أي: عند ذبحها، في يوم العيد، وما بعده، ولأن أهل الجاهلية كانوا يتخرجون من الأكل منها، فقد أباح الله لهم ذلك، حيث يقول ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ أي: من لحومها ثم يقول حثًا على الإنفاق والتصدق ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ منها ﴿الْبَائِسَ الْفَقِيرَ﴾ وبعد الذبح يقول المولى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا﴾ يزيلوا ﴿تَفَثَهُمْ﴾ أوساخهم وشعرهم الزائد، بالاستحمام والحلاقة.

﴿وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ﴾ التي نذورها لله تعالى من لحوم، وأموال.. إلخ.

﴿وَلِيَطَّوَفُوا﴾ وهم على نظافة وطهارة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ طواف الإفاضة وبذلك يكون قد انتهى أداؤهم لمناسك فريضة الحج.

﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾

﴿ذَلِكَ﴾ أي الذي ذكرناه أصبح واضحًا أيضًا ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

ما لا يحل هتكه، وهي: كل ما كلف الله به عباده، أمرًا به أو ناهيًا عنه، ويدخل فيها مناسك الحج، ويدخل فيها كذلك الحرمات الخمس، وهي:

البيت الحرام، والمشعر الحرام، والشهر الحرام، والبلد الحرام، والمسجد الحرام..

﴿فَهُوَ﴾ أي: هذا التعظيم ﴿خَيْرٌ لَّهِ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ثم عاد الكلام إنني بيان بعض أحكام الحج، فقال تعالى: ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْاَنْعَامُ﴾ حيث كان يُظَنُّ أنها تحرم بالإحرام، كما يحرم الصيد على المحرم، فبين ربنا أنها حلال ﴿إِلَّا مَا يُنْتَلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ من المحرمات فهو حرام.

ولمّا حث ربنا على تعظيم حرماته، عقب على ذلك بالأمر الإلهي باجتناب الأوثان وقول الزور ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾.

ثم قال: وكونوا ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ﴾ مخلصين له الدين ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ أحدًا. ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ غيره ﴿فَكَانَمَا خَرَّ﴾ سقط ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ إلى الأرض ﴿فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ﴾ وهو في الهواء، فتقطعه وتأكله ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ﴾ وتسقطه ﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ بعيد مهلك لمن سقط فيه.

﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ﴿٣٣﴾

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الذي ذكرناه أصبح واضحًا أيضًا ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْتِرَ اللَّهِ﴾ أوامره، ومناسكه في الحج، ومن ذلك الهدى الذي يساق إلى أهل الحرم، ﴿فَإِنَّهَا﴾ أي: فإن تعظيمها ﴿مِنْ﴾ دلائل ﴿تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ولكن، لماذا كان تعظيم الهدى من علامات تقوى القلوب؟ يقول تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ من الركوب، وشرب ألبانها عند الضرورة، وذلك ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهو ساعة نحرها، بعد وصولها إلى ﴿مَحْلُهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾.

هذا، وليست المناسك التي يذكر اسم الله عليها وعندها خاصة بهذه الأمة، يقول جل شأنه:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ
الْأَنْعَمِ ۖ فَإِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾

أي: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم قبلكم أرسل الله لها رسولاً، وطالبها بشريعة
﴿جَعَلْنَا﴾ لهم ﴿مَنْسَكًا﴾ أي: ذبحاً وإراقة دماء؛ طاعة لله ﴿لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾
وحده ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَمِ﴾ عند ذبحه وليس في هذا غرابة!!
﴿فَالِلَهُكُمْ﴾ جميعاً ﴿إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ وهو الله سبحانه وتعالى، مهما تعددت الشرائع
وما دام الأمر كذلك ﴿فَلَهُ أَسْلِمُوا﴾ انقادوا، وأخلصوا، واستسلموا لحكمه وطاعته.
﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾. قد يقول قائل: من هم المخبتون؟ فيكون الجواب الإلهي:

﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾

يعني: المخبتون هم ﴿الَّذِينَ﴾ وصفوا بهذه الصفات:
الأولى: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحِلَتْ﴾ خافت منه ﴿قُلُوبُهُمْ﴾.
الثانية: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَىٰ مَا أَصَابَهُمْ﴾ من الابتلاءات.
الثالثة: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ﴾ في أوقاتها.
الرابعة: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يؤدون حق الله في أموالهم، ويتصدقون متطوعين
بعد ذلك على الفقراء والأهل والأقارب.

ثم يعود الحديث إلى شعائر الله، التي أمر الله بتعظيمها فيما سبق قائلاً عز وجل:

﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَرٌّ ۖ فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا
صَوَافٍ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ۚ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَوِيُّ مِنْكُمْ
كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

أي: ﴿وَالْبُدْنَ﴾ وهي: الإبل والبقر ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ التي

يجب تعظيمها باختيار الجيد الطيب منها للحرم، ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ في الدنيا، وفي الآخرة. ﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها ﴿صَوَافٍ﴾ واقفة، مصفوفة.

﴿فَإِذَا وَجَبَتْ﴾ سقطت ﴿جُنُوبَهَا﴾ على الأرض، وسكنت حركتها تمامًا، فجهازوها واطبخوها، وبعد ذلك ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ إن شئتم ﴿وَأَطْعِمُوا﴾ من لحومها ﴿الْقَانِعَ﴾ المحتاج الذي لا يسأل؛ لأنه قانع راض بما عنده ﴿وَالْمُعْتَرَّ﴾ الذي يسأل. ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما أمرناكم بنحرها وذبحها على هذا النحو ﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾ دللناها لكم، لتتفعوا بها ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على إنعامه بكم وعليكم، واعلموا أنه ﴿لَنْ يَنَالَ﴾ صاحبها رضي الله، بسبب لحومها أو دماؤها فقط، دون إخلاص منه ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ أي: بمراعاة النية والإخلاص، وتحقيق شروط التقوى.

﴿كَذَلِكَ﴾ أي: من أجل ذلك ﴿سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ على نعمه، وعند ذبحها ﴿عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ وأرشدكم إليه، ثم يقول ربنا حثًا على الإجابة في الأداء: ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالثواب الجزيل على إحسانهم.

إن الآيات السابقة كانت تتحدث عن المناسك والعبادات، وأن الذين كفروا كانوا يصدون المسلمين عن سبيل الله والمسجد الحرام!! ومن المعقول أن تحتاج هذه المناسك والعبادات إلى من يدافع عنها ضد هؤلاء الصادين عن سبيل الله، وبالطبع هذه المدافعة سيكون فيها قتال ولهذا وغيره، كان التمهيد للإذن بالقتال في قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨)

يعني: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ﴾ بقدرته ﴿عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به، وتوكلوا عليه، وأنابوا إليه شر الأشرار، وكيد الفجار، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾ للأمانة ﴿كَفُورٍ﴾ للنعمة.

وفي هذه الآية وعد من الله بنصرة المؤمنين حيث يجعلهم في غاية الثقة، والاطمئنان. ومن ثم كان الإذن لهم بالقتال:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩)

يعني: ﴿أُذِنَ﴾ أي: أذن الله ﴿لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ﴾ من أعدائهم، وهم المؤمنون؛ بأن يقاتلوا من يقاتلونهم، ذلك الإذن ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظَلَمُوا﴾ من أعدائهم الكافرين هذا، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه ﴿عَلَىٰ نَصْرِهِمْ﴾ بدون قتال لهم ﴿لَقَدِيرٌ﴾ ولكن يريد تبارك وتعالى من عباده أن يبذلوا جهدهم في طاعته، ونشر دعوته، وإعلاء كلمته، وتطبيق منهجه.

ومن صور هذا الظلم الذي وقع على المؤمنين ما يذكره ربنا في قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠)

يعني: ﴿الَّذِينَ﴾ أذن لهم بالقتال، هم من ﴿أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ ولكن ظلماً وعدواناً. وما ذلك الإخراج لهم ﴿إِلَّا﴾ بسبب إيمانهم وقولهم ﴿رَبُّنَا اللَّهُ﴾ وحده، ثم يبين ربنا جلّت حكمته أنه يحفظ دينه بهذا الأمر، وهو رد العدوان حيث يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ أي: إذنه لأهل دينه بمجاهدة الكفار وقتالهم، ونصره لهم في كل العصور؛ لاستولى أهل الشرك على أهل الأديان، و﴿لَّهُدَمَتْ﴾ بأيدي أهل الكفر ﴿صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾. يقول عز وجل: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾ من عباده ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: من ينصر دينه بالعمل بأحكامه، والالتزام بتشريعاته، وإعلاء شأنه، وكذلك بالدفاع عن أهله، وصيانة حرماته، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على هذه النصرة ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يمنعه منها أحد.

وبعد ذلك، يبين الله عز وجل أن هؤلاء الذين يدافع سبحانه عنهم، والذين أذن لهم بالقتال هم أيضاً:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١)

هذا وصف من الله تعالى لمن يستحقون نصره يعني: هؤلاء ﴿الَّذِينَ﴾ ظلموا، وأذن لهم بالقتال، ونصروا دين الله ﴿إِنْ مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بنصرنا لهم على أعدائهم فعلوا هذه الأمور:

﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾. ﴿وَأَتَوْا الزَّكَاةَ﴾. ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾. ﴿وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

وعلموا جيدًا أن ﴿لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ فتوكلوا عليه، وفوضوا الأمر في كل شيء إليه.

ولمَّا كان قتال الأعداء للمسلمين ناتجًا عن تكذيبهم لمحمد ﷺ بين الله للنبي عليه الصلاة والسلام وللمؤمنين تثبيتًا لهم أن هذا التكذيب وهذا الإيذاء، طبيعة الكافرين لأهل الحق في كل العصور، ولستم وحدكم في ذلك، فاصبروا وجاهدوا، حتى يأتي نصر الله، يقول الله تعالى:

﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْرِىٰ مُعْتَلَّةٌ وَقَصِيرٌ مَّشِيدٌ ﴿٤٥﴾﴾

يعني: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: كفار أمتك فلا تبتئس، ولا تتأثر من تكذيبهم لك، فسأهلهم، ثم أخذهم وأعذبهم عذابًا شديدًا ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ * وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ * وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى﴾. ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء، وأهلتهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ وأهلكتهم.

﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: انظر كيف إنكاري عليهم وعقابي لهم، وهؤلاء مثلهم لا يفلتون مني، ولا ينجون من عقابي ما داموا مصرين على الكفر، والعناد، والتكذيب.

أيضًا، أين قُرَاهِم ومساكنهم؟ هلك أهل هذه القرى، وخربت بيوتهم، وتعطلت آبارهم، وسكنوا الهواء وانهدمت قصورهم الرائعة.

أفلا يعتبر بهؤلاء وما حدث لهم، كفار هذا العصر!!

﴿فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾

أي: ﴿أ﴾ غفلوا ﴿فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ ليعتبروا بما حدث لهذه الأمم، وهم يَمرون على ديارهم!! فليسيروا ﴿فَتَكُونْ لَهُمْ﴾ خلال سيرهم ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾ ما حدث، ﴿أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ عما حدث ليعتبروا ويؤمنوا، ولكنهم لم يعتبروا ولم يؤمنوا، بعد أن ساروا، ورأوا، وسمعوا، حقًا ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ الْعَمَى الْحَقِيقِي هُوَ أَنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ وقد عميت قلوبهم، ولذلك لم يعتبروا، ولم يؤمنوا. بل أكثر من هذا..

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾

يعني: ومن تكذيبهم واستهزائهم أنهم ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ أي: يطلبون نزوله بهم سريعًا، وهم لا يعلمون أن الله لا يخلف وعده بقيام الساعة، وبعث الناس، وتكريم المؤمنين، وتعذيب الكافرين، وهم لا يعلمون أيضًا أن ﴿يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مقداره ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ أنتم ولذلك هم يستعجلون العذاب؛ ظنًا منهم أنه لن يكون.

ثم يقول الله تعالى لهم:

﴿وَكَايْنٍ مِّنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾﴾
يعني: فلا تغتروا بأمهالي لكم، فكم ﴿مِّنْ﴾ أهل ﴿قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا﴾ وأخرت العذاب عن أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بكفرها، مثل ظلمكم بكفركم ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ بالعذاب، كما سأعذبكم في الدنيا ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ أيضًا في الآخرة، فيكون العذاب

الآليم الأبدي فهل تعتبرون، فتؤمنون..؟

يا محمد.. ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿٤٩﴾

أي: ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المكذبين المستعجلين للعذاب، المستهزئين به وللدنيا كلها معهم ﴿يَتَّيِبُهَا النَّاسُ﴾ جميعاً ﴿إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب ﴿مُبِينٌ﴾ واضح، وكذلك بشير للمؤمنين بالنعيم.

وعلى ذلك، فالاختيار بين الكفر والإيمان لكم، وبكامل حريتكم.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

أي: ﴿فَالَّذِينَ﴾ هداهم الله، و ﴿ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فقد فازوا؛ حيث إن ﴿لَهُمْ﴾ عند ربهم ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

و أما ﴿الَّذِينَ﴾ شقوا و ﴿سَعَوْا فِي﴾ إبطال ومعاودة ومقاومة ﴿ءَايَاتِنَا﴾ الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا، والهادية لعبادنا ﴿مُعْجِزِينَ﴾ لها بالإفساد والإبطال، فقد خسروا؛ حيث ﴿أُولَٰئِكَ﴾ هم ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

وبعد هذا البيان النبوي من محمد ﷺ أنه نذير مبين، يكون بيان الله عز وجل لسنة من سننه، حيث يقول الله عز وجل:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٥٢﴾

يعني: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا﴾ كانت له أمانى كبيرة، في هداية أمته إلى الإيمان، فذ: ﴿إِذَا تَمَنَّى﴾ هذه الأمانى ومارس دعوته ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي﴾ قلوب بعض الناس الذين هم محل ﴿أُمْنِيَّتِهِ﴾ أي: أتباعه،

الذين يمارس فيهم دعوته؛ الشكوك والأوهام، المتصلة بالله تعالى، أو بالرسول، أو بالرسالة، أو بالقرآن، أو بغير ذلك.

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ﴾ ويذهب من قلوب المخلصين الصادقين ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ من الشكوك والأوهام، ﴿ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ﴾ فيها أي: قلوب المخلصين ﴿ءَايَاتِهِ﴾ ويثبتها، ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يلقي الشيطان في القلوب، ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما ينسخ منها ويذهب، وفيما يبقى من آياته ويثبت.

والحكمة في تمكين الله تبارك وتعالى للشيطان من إلقاء هذه الشكوك والأوهام في بعض القلوب، تتضح في قوله تعالى:

﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾

أي: ﴿لِيَجْعَلَ﴾ الله سبحانه ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ من أوهام وشكوك ﴿فِتْنَةً﴾ واختبارًا ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وكذلك اختبارًا لـ ﴿الْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ من عباد الله، الذين لا يتأثرون بموعظة، ولا تنفع فيهم دعوة.

حقًا: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ من المشركين والمنافقين والفاستقين ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق والصواب، فيما يتوهمون ويظنون نتيجة إلقاء الشيطان ما يلقيه في قلوبهم.

وليست هذه هي الحكمة فقط من تمكين الله للشيطان من هذا الإلقاء، حيث يقول ربنا تبارك وتعالى أيضًا:

﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

أي: ﴿وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله، وبدينه، وبالقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن هو ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ لا شك فيه، ولا أوهام حوله ﴿فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ وبما جاء فيه، وعلى ذلك ﴿فَتُخْبِتَ﴾ أي: تطمئن ﴿لَهُ﴾ ولما جاء فيه ﴿قُلُوبُهُمْ﴾، حقًا ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ تعالى ﴿لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

وبعد ذلك اتضح ما يلقيه الشيطان في القلوب حول الرسالة، كما اتضح كذلك موقف الذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم منه...!! وثالثاً موقف المؤمنين أيضاً مما يلقيه الشيطان، يقول الله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيَّةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾

والمعنى: أنه لا إفادة عند الذين كفروا من هذا التوضيح السابق، حيث إنهم سيظلون في ﴿مَرِيَّةٍ﴾ شك ﴿مِنْهُ﴾ أي: القرآن، أو الصراط المستقيم ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً﴾ فجأة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ لا رجاء في الخلاص منه، ولا راحة فيه، وساعتها يوقنون...!! ولكن بعد فوات الأوان.

حيث يكون:

﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾

نعم ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم يوقنون في يوم القيامة ﴿لِلَّهِ﴾ وحده، هو الذي ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ ويفصل في أمرهم.

﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يدخلون ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ﴾ يدخلون جهنم ﴿لَهُمْ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾.

ثم يخص الله بعض هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، الذين يدخلون جنات النعيم بالذكر تشريفاً لهم.. فقال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضُونَهُ ۖ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾﴾

يعني: من الذين أوتوا العلم وعلموا أن القرآن هو الحق من ربك، ويدخلون في جنات النعيم ﴿الَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ من ديارهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ابتغاء مرضاة الله، ونصرة دينه ﴿ثُمَّ قُتِلُوا﴾ في الجهاد ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ في غير ساحات الجهاد هؤلاء ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ في الجنة ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾ تسعد به قلوبهم، وتقر به أعينهم.

و هذا فضل من الله؛ حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ﴾.

نعم ﴿لِيَدْخُلَنَّهُمْ﴾ الله سبحانه ﴿مَدْخَلًا﴾ في الجنة ﴿يُرْضُونَهُ﴾ حيث يكون فيه ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ تبارك وتعالى ﴿لَعَلِيمٌ﴾ بأحوال عباده، من قضى نحبه ومات شهيداً في سبيل الله، ومن مات على فراشه، وكان يجاهد قبلاً ويتمنى الشهادة في سبيل الله، ﴿حَلِيمٌ﴾ يصفح عنهم، ويغفر لهم.

ثم يقول ربنا عز وجل:

﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوءٌ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

أي: ﴿ذَلِكَ﴾ الفضل من الله في الآخرة للذين هاجروا في سبيل الله، ثم قتلوا أو ماتوا - كذلك في الدنيا لا أترك نصرة الباقيين منهم؛ حيث إنه ﴿مَنْ عَاقَبَ﴾ من المؤمنين ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ أي: بمثل العدوان الذي وقع عليه ﴿ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ﴾ بعد ذلك ﴿لَيَنْصُرْنَاهُ اللَّهُ﴾ على من بغى عليه.

وهذه سنتنا في نصرة المظلومين، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ تعالى ﴿لَعَفُوءٌ﴾ لمن عاقب بمثل ما عوقب به ﴿غَفُورٌ﴾ لمن اجتهد في رد العدوان فأخطأ.

ثم يقول سبحانه مؤكداً هذه السنة الربانية، وهي نصرة المظلوم:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ﴿٦١﴾

يعني: ﴿ذَلِكَ﴾ النصر الرباني للمظلوم؛ لأن الله عز وجل قادر، ومن قدرته أنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يدخل هذا في ذاك، ويزيد من هذا في ذاك بقدرته تبارك وتعالى.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوال عباده ﴿بَصِيرٌ﴾ بأفعالهم، ينصر من ظلم وبُغي عليه منهم. ثم يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ﴿٦٢﴾

أي: ﴿ذَلِكَ﴾ النصر الرباني؛ بسبب ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ فهو ينصر أهل الحق. ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من الأصنام وسائر المعبودات ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾. ﴿وَأَنَّ اللَّهَ﴾ سبحانه ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ فلا أعلى منه شأنًا ﴿الْكَبِيرُ﴾ فلا أكبر منه سلطانًا، وهكذا أصبح واضحًا: أن النصر من الله القادر لمن أخلص النية، وهو يجاهد في سبيل الله.

لَمَّا نَبِهَ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ عَلَى كَمَالِ قُدْرَتِهِ فِي نَصْرِ أَوْلِيَائِهِ بِأَنَّهُ ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١] أَكَّدَ عَلَى كَمَالِ هَذِهِ الْقُدْرَةِ بِذِكْرِ سِتَّةِ أَشْيَاءَ هِيَ مِنْ أَثَارِ قُدْرَتِهِ، حَيْثُ يَقُولُ عَنِ الْأَوَّلِ:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ ﴿٦٣﴾

ثم يقول تعالى عن الثاني من آثار قدرته:

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ﴿٦٤﴾

ثم يقول تبارك وتعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلُكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾
 هذه الآية الكريمة فيها الأثر الثالث الدال على قدرته تعالى، وهو: ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم﴾ بقدرة ﴿مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوانات، والنباتات، والجمادات للانتفاع بها.

والأثر الرابع كذلك، وهو: ﴿الْفُلُكَ﴾ وهي السفن أي: وسخر لكم السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ وقدرته وتيسيره، دون أن تغرق.

والأثر الخامس أيضًا: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ بقدرة من ﴿أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ أو أي شيء منها ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ كبعض النيازك والشهب، حيث ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ﴾ في هذا التسخير لما في الأرض، والتسيير للسفن، وإمسك السماء حتى لا تقع على الأرض ﴿لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

وعن الأثر السادس من قدرة الله، يقول الحق سبحانه:

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

يعني: من دلائل قدرته تعالى التي ينصر بها أوليائه، إحياءكم من العدم، ثم إيمانكم، ثم إحياءكم للبعث والحساب، وقد نبه بالإحياء الأول على إناعمه في الدنيا على خلقه، بكل ما تقدم ذكره، ونبه بالإحياء الثاني على إناعمه في الآخرة على المؤمنين، بكل فضل وإحسان، ولما فصل تعالى هذه النعم في الدنيا على هذا النحو قال: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ لهذه النعم ﴿لَكَفُورٌ﴾ جحود لفضل الله عليه.

لما كان الحديث عن نعم كلها فضل من الله بلا تكليف، يأتي حديث عن نعم كلها فضل من الله وتكليف، حيث يقول الحق تبارك وتعالى:

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾﴾ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾

يعني: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ نبي ﴿جَعَلْنَا﴾ لهم ﴿مَنْسَكًا﴾ أي: شرعاً ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به، وهو خاص بهم ﴿فَلَا﴾ ينبغي أن ﴿يُنْزِعُكَ﴾ يجادلنك،

أهل الشرائع والأديان السابقة ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الإسلام ومناهجه ومناسكه، وكان ذلك لما قالوا عن الذبائح ما قتل الله منها بالموت، أحق أن تأكلوه، عما قتلتم أي: ذبحتم بأيديكم !! ولا تنازعهم وتجادلهم ولا تلتفت إليهم ﴿وَادْعُ إِلَى﴾ دين ﴿رَبِّكَ﴾ وشريعته، وعبادته، كما أنزل عليك، حيث ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى﴾ أي: طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وشرع قويم.

هذا ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ ونازعوك بعد بعدك عنهم، وتلاشوا نزاعهم، ﴿فَقُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من أعمال ظاهرة، أو خفية، ولن أجادلكم، وكان ذلك قبل الأمر بالقتال.

ثم يقول تعالى للمؤمنين والكافرين:

﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

يعني: ﴿اللَّهُ﴾ وحده هو الذي ﴿يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ ويفصل ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ فيثيب المؤمنين، ويعاقب الكافرين.

هذا، ولما كان الحكم يقتضي العلم بما يستحقه كل أحد ليتم العدل، فقد بين ربنا عز وجل أنه العالم بكل شيء. حيث يقول مطمئناً حبيبهِ ﷺ، وكل مؤمن معه:

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿٧٠﴾

يعني: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ بمعنى اعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ القادر هو الذي ﴿يَعْلَمُ﴾ وحده كل ﴿مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾. حيث ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذي في السماء والأرض مدون ﴿فِي كِتَابٍ﴾ وهو اللوح المحفوظ.

﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ التدوين والإثبات للموجودات في اللوح المحفوظ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فلا يغيب عنه سبحانه من ذلك كله شيء، وفي هذا بشارة للمؤمنين، وتهديد للكافرين.

هذا، ومع عظيم النعم التي أنعم الله بها على خلقه، فإن الكفار يفعلون ما لا يليق
يقول رب العزة عنهم:

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٧١)

أي: ومع وضوح الدلائل على وحدانيته تعالى وقدرته لهؤلاء الكافرين، فإنهم
﴿يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ﴾ أي: دليلاً ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾
يعني: لا دليل لهم من الوحي، ولا من العقل على صحة ما يعبدون، وهذا ظلم
منهم، ولذلك يهددهم المولى على ظلمهم بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ في عبادتهم
﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يدفع عنهم العذاب يوم القيامة. كذلك..

﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا بِإِنتِبَاحٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ
يَكَادُوكَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمِبٌ مِّنْ
ذَلِكَمُ النَّارُ وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسِئَ الْمَصِيرُ﴾ (٧٢)

يعني: ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ من القرآن ﴿بِإِنتِبَاحٍ﴾ واضحات الدلالة على
وحدانية الله وقدرته، ﴿تَعْرِفُ﴾ أي: ترى ﴿فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ﴾
أي: أثر الإنكار لها من العبوس والضييق والكراهة، بل إنهم ﴿يَكَادُوكَ يَسْطُونَ﴾
يبتطشون ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُنَا﴾ هذه، وهم الرسول ﷺ والمؤمنون
والعجيب أن هذه عادة الطغاة مع الدعاة إلى الله في كل زمان ومكان.

﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَفَأَنْتُمْ كُمِبٌ مِّنْ ذَلِكَمُ﴾ الذي تسمعون...؟ إنه: ﴿النَّارُ﴾
التي ﴿وَعَذَابُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن يكون مصيرهم إليها وعذابهم فيها،
﴿وَيَسِئَ﴾ هذا ﴿الْمَصِيرُ﴾ مصيرهم.

لَمَّا قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ الْكَافِرِينَ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الحج: ٧١] أي:
آلهة غير الله القادر...!!

يَبَيِّنُ عَجْزَ هَذِهِ الْآلِهَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:

﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾

يعني: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ﴾ ضرب الله عز وجل لِمَا تعبدونه من دون الله من الأصنام وغيرها مثلاً ﴿فَاَسْتَمِعُوا لَهُ﴾. وهذا هو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ أي: تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من آلهة باطلة عاجزون، حيث إنهم أي: هذه الآلهة ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ إذا أرادوا ذلك.. حتى ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا﴾ كلهم ﴿لَهُ﴾ أي: لخلق هذا الذباب.

وأكثر من هذا دلالة على عجزهم: ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ﴾ هذا المخلوق الضعيف ﴿شَيْئًا﴾ ولو تافها ﴿لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ لعجزهم عن ذلك. حقاً ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ﴾ وهي الآلهة ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ منه، وهو الذباب، وأيضاً ضعف الطالب: وهو العابد الكافر، والمطلوب، وهو الصنم المعبود.

بئس هؤلاء، إنهم:

﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

يعني: ما عظموا الله كما يستحق، حيث جعلوا هذه الأصنام مع نهاية خستها وعجزها شريكة لله سبحانه.

﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَقَوِيٌّ﴾ لا يصعب عليه فعل شيء ﴿عَزِيزٌ﴾ لا يقدر أحد على مغالبتة فكيف يجعلون له شريكاً؟! وكيف يعبدون هذا الشريك؟!!!

لَمَّا أَبْطَلَ اللَّهُ مَوَاقِفَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَبْطَلَ آلِهَتَهُمْ، وَأَثْبَتَ عَجْزَهَا، قَالُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: لِمَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ مِنْ بَيْنِنَا، وَلَيْسَ بِأَشْرَفِنَا وَلَا بِأَكْبَرِنَا؟ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ فِي النَّبَوَاتِ:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾
 ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾
 والمعنى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي﴾ ويختار ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ كجبريل وغيره
 ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلًا، كإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، كما
 يشاء فالأمر له وحده.

﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لأقوال هؤلاء ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يختاره لرسالته.
 لذلك: فهو يجعل رسالته حيث يشاء كما أنه ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ مما سيقولونه
 وسيعملونه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ مما قالوه، وما عملوه.
 ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ كلها، وسيحاسبهم على أقوالهم هذه، وعنادهم هذا.
 هذا، ولما تحدث ربنا عز وجل عن الإلهيات وعن النبوات، تحدث عن التشريعات
 والتكليفات مخاطبًا بها أهل الإيمان، حيث يقول جل وعلا:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا
 الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ
 اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ
 سَمَنَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا
 شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ
 مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ ﴿٧٨﴾

في هاتين الآيتين الكريمتين يخاطب ربنا تبارك وتعالى المؤمنين مشرفًا لهم بهذا
 الخطاب الإلهي، ومشجعًا لهم على حسن تنفيذ ما يطالبهم به ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
 مع العلم أن المطلوب هنا مطلوب من الناس جميعًا.

أولها: الصلاة ﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾.
 ثانيها: العبادة عامة ﴿وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: وحدوه، وأطيعوه، ولا تتوجهوا بالعبادة
 إلى غيره.

ثالثها: فعل الخير كله ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ كله، من عبادة الله، وإحسان إلى خلق الله. ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ بالسعادة في الدنيا، والجنة ونوال الرضوان في الآخرة. رابعها: الجهاد في سبيل الله ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ أي: في سبيل إقامة دين الله ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ أي: ببذل كل الطاقة في ذلك الجهاد.

وبعد أن وضّحت الآيات هذه المطالب، تبين ما يوجب قبولها ويساعد على تنفيذها على النحو التالي:

أولاً: أن الله قد اختاركم لدينه، وشرفكم بذلك ﴿هُوَ أَجَبْتَكُمْ﴾ أي: اصطفاكم من دون الناس جميعاً.

ثانياً: أن الله يسر لكم وخفف عنكم في هذا الدين، وتنفيذ أحكامه؛ حيث إنه ﴿مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي﴾ هذا ﴿الَّذِينَ﴾ وتنفيذ أحكامه، وتطبيق تعاليمه ﴿مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق.

ثالثاً: أن هذا الدين ليس بغريب عنكم، فهو ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾، فأنتم أولى الناس باتباعه، والالتزام بمثلته.

رابعاً: أن الله شرفكم بتسميتكم مسلمين، يعني مطيعين، مستسلمين له سبحانه ﴿هُوَ سَمَّيَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ الكتاب أيضاً، وهو القرآن، وفي ذلك بيان لفضلكم على سائر الأمم.

خامساً: أنكم شهداء على الناس في الدنيا وفي الآخرة ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾.

وفي الخاتمة: تؤكد الآيات على ما مضى من المطالب، حيث يقول المولى: ﴿فَأَقِمْ وَفِي الصَّلَاةِ﴾ أي: داوموا عليها.

﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ من أموالكم لمستحقيها، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثقوا به، وتمسكوا بدينه، واجتمعوا حوله، وطبقوا ذلك له؛ إذ ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ وناصركم ومؤيدكم ولا ناصر لكم ولا لأحد سواه.

﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ لكم هو سبحانه وتعالى.